الفصـل التـاسـع

تشتيت اللاجئين الفلسطينيين

سبب واحد مهم لإصرار إسرائيل على الاستمرار فى سياسة الانتقام، تمثل فى رغبة المؤسسة الحاكمة الصهيونية لفرض ضغوط مستديمة على الدول العربية، فى سبيل ترحيل اللاجئين الفلسطينيين من المناطق المتاخمة لخطوط الهدنة، وتشتيتهم عبر العالم العربى. ذلك لم يكن، فى مستهل الخمسينيات، بسبب أية اعتبارات عسكرية: فكما رأينا، وكما توضح عبارة ديان السابقة بجلاء، كانت الحكومة الإسرائيلية مهتمة أكثر بتصعيد التوتر على الحدود عن إخماده. ذلك فضلاً عن أن عدم الاهتمام بأمن حدود الشعب اليهودى كان تشكيكًا [مرتبًا] مثل دعمها نشر شعور بالخطر بين المستوطنين عبر الاستفزاز والدعاية المزورة. كما أن فى تلك السنوات، لم تكن هناك أية حركة مقاومة فلسطينية منظمة. كان كل شىء واضحًا تمامًا، ذلك أن العمليات ذات الطابع الإرهابى والمستوى المنخفض التى كانت تسمح بها النظم العربية، كانت موجهة أكثر إلى خفض التوتر الذى

تصاعد داخل بلادهم، بسبب وجود اللاجئين، وإبقاء القضية على الأجندة فى الساحة الدولية، أكثر مما كانت موجهة إلى الاستعداد لحرب تحرير فلسطين.[٢٠] ولكن وجود اللاجئين الفلسطينيين على طول خطوط الهدنة فى قطاع غزة والضفة الغربية لم يكن تذكرة مستمرة لعدم شرعية احتلال إسرائيل للأراضى فى عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩، وانتهاكها قرارات الأمم المتحدة التى تدعو إلى عودة اللاجئين، ولكن أيضا كانت علامة مميزة حية ومجسدة على طول الحدود، والتى ليس فى نية إسرائيل أن تقبلها كحدود نهائية لتوسعها الحدودى. بمعنى آخر، شرح حكام إسرائيل، أنه طالما ظلت الأعداد الكبيرة للفلسطينيين متمركزة على الأرض الفلسطينية، سيظل هناك خطر ممارسة ضغوط دولية لدعم مطالبتهم بالعودة إلى وطنهم، وأيضًا هناك احتمال ضئيل فى حصول إسرائيل على الموافقة الدولية لإلغاء الفكر الجيوسياسى لفلسطين، تمامًا واستبدالها بفكرة «ايريتس ـ إسرائيل» (أرض إسرائيل التوراتية).

يجب التوضيح بأن عند تلك النقطة لم يختلف موقف شاريت الخاص بالمسألة الفلسطينية، باستثناء ما يخص استخدام الوسائل العسكرية لتشتيتهم، عن موقف «النشطاء». فقد رفض تماما توسلات الكونت برنادوت المستمرة فى عام ١٩٤٨ من أجل عودة جزء من اللاجئين إلى منازلهم (فولك برنادوت إلى القدس، لندن ١٩٥١). بعد عام، سخر من موقف الصهيونيين العموميين الذين كانوا يؤيدون دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية، وضد اتفاق مع الملك عبد الله حول تقسيم الضفة الغربية بين إسرائيل والأردن (ديفرئى، هاكنيست، القدس، ١٩٤٩). فى يوميات شاريت، هناك إشارات عديدة إلى محاولات عقد مفاوضات قام بها مساعدون كبار فى وزارة الخارجية مع ممثلين عرب أو لاجئين، استهدفت إعادة توطين الفلسطينيين فى البلاد الأخرى، مثل ليبيا أو سوريا، أو العراق، (من بين آخرين، مصطفى عبد المنعم، نائب الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، الذى أشار شاريت، فى ٢٣ مايو عام ١٩٥٤ إلى كلماته، التى أكد فيها أنه «يجب توطين اللاجئين فى الدول المجاورة، أو، إن وجد رأس

المال، ففى سيناء»). فى ٣٠ يونيه عام ١٩٥٤، التقى شاريت مع اثنين من ممثلى اتحاد اللاجئين الفلسطينيين، عزيز شحاتة من يافا، ومحمود يحيى من الطنطورة، بخصوص دفع تعويضات. وأخيرا، فى ٢٨ مايو، عام ١٩٥٥، عرضت أفكار شاريت بخصوص مسألة اللاجئين الفلسطينيين، بشكل لا لبس فيه، فى تعليماته إلى سفراء إسرائيل بخصوص المعاهدة الأمنية التى عرضتها الولايات المتحدة على إسرائيل، والتى شك وزير الخارجية فى أن تضم بعض الشروط: «قد تكون هناك محاولة للوصول إلى السلام عن طريق الضغط علينا لتقديم تنازلات فى مسألة الأراضى واللاجئين. لقد حذرت [السفراء] من أى فكرة تخص إمكانية إعادة بضعة عشرات الآلاف من اللاجئين، حتى ولو مقابل السلام». هذا رغم أنه كان معروفا بأن شاريت من الزعماء الصهاينة «الليبراليين»، وزعم بأنه خبير فى المسائل العربية لأنه عاش لمدة عامين، خلال فترة المراهقة، فى قرية عربية فى الضفة الغربية؛ ولأنه يعرف العربية لأنه عاش فى سوريا خلال خدمته العسكرية فى الجيش التركى. بشكل عام، كان موقفه تجاه الفلسطينيين واضحا جدا فى ملاحظة دَوَنَهَا فى يومياته يوم ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٣. تشير تلك الملاحظة إلى تقرير قدمه، فى ذلك اليوم، إلى اجتماع الوزارة، الكولونيل إسحق شانى، كبير الحكام العسكريين للأقلية العربية فى إسرائيل. (كما هو واضح، هؤلاء الذى يطلق عليهم شاريت صفة المتسللين، كانوا عربًا فلسطينيين طردوا بالقوة، ويحاولون العودة إلى قراهم، أو إقامة اتصالات مرة أخرى مع عائلاتهم، التى بقيت تحت الحكم الإسرائيلى).

«خلال السنوات الثلاث الماضية [كتب شانى] توطن ٢٠ ألف متسلل فى إسرائيل، بالإضافة إلى ٣٠ ألف عادوا، فورا، بعد الحرب... فقط لأن هؤلاء العشرين ألف لم يحصلوا على وثائق دائمة، توقف تدفق التسلل الموجه نحو التوطين. إلغاء الحكومة العسكرية سيعنى فتح مناطق الحدود للتسلل المفتوح، وزيادة حجم التغلغل داخل البلاد. وحتى مع الوضع الحالى، هناك نحو ١٩ الف

عربى فى الجليل يملكون تصريحات دائمة للتحرك بحرية، وتحديداً نحو الغرب والجنوب، وليس نحو الشمال أو الشرق. . . إن مشكلة المرحلين التى تثير المشاكل، يجب تصفيتها عبر إعادة توطين دائم، ولكن المهاجرون الجدد [اليهود] يرفضون، بإصرار، استيطان أرض يملكها اللاجئون الذين يعيشون على الجانب الآخر من الحدود. . . حتى عندما تم بناء منازل من الحجارة لأجلهم، رفضوا الاستيطان فيها، لأنها تم بناؤها على أرض أشخاص غائبين. . . العرب الذين لا يزالون يعيشون على أرضهم يتمتعون بمميزات، حيث إن إنتاجهم يكلفهم أقل كثيراً من إنتاج اليهود. بالإضافة الى ذلك، فهم معفيون من صرف الأموال، وتعيين قوة بشرية للمراقبة ليلاً، لأن المتسللين لا يلمسون أملاكهم. . . يمكن الزعم بأن بعد هذه المحاضرة سيتم إسكات صوت «الصهيونيون العموميون» الذين يطالبون بإلغاء الحكومة العسكرية». (١٥ نوفمبر ١٩٥٣، ١٥٠).

خلال ١٩٥٣-١٩٥٤، كان شاريت يرجع من وقت لآخر فى يومياته إلى المقترحات التى قدمها بن جوريون، وديان ولافون وآخرون، من أجل توجيه انذارإلى مصر: إما أن تقوم بإخلاء كل اللاجئين الفلسطينيين من قطاع غزة وتشتيتهم داخل مصر، وإلا. إن وصف مناقشات الحكومة فى الأسبوع الأخير من شهر مارس عام ١٩٥٥ حول طلب بن جوريون الخاص باحتلال قطاع غزة، يعطى تفاصيل أكثر:

«اقتراح وزير الدفاع هو أن تعلن إسرائيل بطلان اتفاقية الهدنة مع مصر، وهكذا تستعيد «حقها» فى تجديد حرب (١٩٤٨-١٩٤٩). . . لقد أدانت المنطق المغلوط فى اعتماد بن جوريون على انتهاك مصر اتفاقية الهدنة، من أجل تبرير الإعلان من ناحيتنا بأن هذه الاتفاقية لم تعد قائمة، وبذلك نسمح لأنفسنا باستئناف الحرب. . . دعنا نزعم بأن هناك ٢٠٠ ألف عربى (فى قطاع غزة)،

دعنا نزعم بأن نصف هذا العدد سوف يهرب أو سنجعلهم يهربون إلى تلال أريحا. من الواضح أنهم سوف يهربون بدون شئ، وبعد وقت قصير بعد استقرارهم وإقامة مناخ مستقر لأنفسهم، سوف يصبحون مرة أخرى رعاعًا متمردين بلا مأوى. من السهل تصور الغضب، والكراهية، والمرارة والرغبة فى الانتقام التى سوف تشتعل داخلهم. . . ونحن سوف يكون لدينا رغم كل شئ، مئة ألف منهم فى القطاع، ومن السهل أن نتخيل الوسائل التى سنستخدمها من أجل قمعهم، وأى موجات من الكراهية سوف نخلق، مرة أخرى، وأى عناوين رئيسية فى الصحافة العالمية سوف نحصل عليها. الجولة الأولى ستكون: إسرائيل تعتدى على قطاع غزة. الثانية: إسرائيل تتسبب مرة أخرى فى هروب أعداد كبيرة من العرب اللاجئين الخائفين». (٢٧ مارس ١٩٥٥، ٨٦٥)

فى اجتماع ثان للوزارة استمر ست ساعات، استطرد شاريت فى سرد منطقه:

«ما نجحنا فى تحقيقه عام ١٩٤٨، لا يمكن تكراره، كلما رغبنا فى ذلك. اليوم علينا أن نقبل حدودنا الحالية، ونحاول أن نخفض حدة التوتر مع جيراننا من أجل إعداد الأرض من أجل السلام، وتقوية علاقاتنا مع القوى الكبرى. . . وأخيرًا، لقد أثبتت أن احتلال قطاع غزة لن يحل أى مشكلة أمنية، حيث أن اللاجئين سيظلون يمثلون المشكلة نفسها، وحتى أكثر من هذا، حيث أن كراهيتهم سيشعلها السخط التى سوف يعانون منه بسبب احتلالنا الأراضى». (٢٩ مارس ١٩٥٥، ٨٧٣)

«كانت خطبة بن جوريون مليئة بالغضب ضد هؤلاء الذين لا يشاطرونه الرأى، وهؤلاء الذين يقاسمونه الرأى، ولكنهم غير قادرين على رؤية المستقبل الحتمى ولا يستطيعون فهم إننا لن

نتـخلص من المشـاكل الآن إلا من خـلال التـحـرك الجرىء، إن كـان سينفذ فى الوقت المناسب، وقبل ضيـاع الفرصة. . مشكلة اللاجئين هى بلا شك، مشكلة مزعجة، ولكن رغـم كل شىء سوف نطردهم إلى الأردن». (التاريخ نفسه، ٨٧٤- ٨٧٥).

* * *